الجزء الثالث

دعْ مالك يعمل لأجلك

هناك أشخاص لديهم أموال، وهناك أغنياء.

كوكو شانيل

واقع الحال كما يلي: المال الكافي الضروري مفيد للغاية على طريق النجاح. ولكن الأهم من المال الذي تمتلكه، هو ألاّ تكون مضطراً إلى إشغال تفكيرك في مالك غير الموجود. إن تأسيس حياتك على حقيقة افتقارك إلى المال، هو أمر غير مفيد، ولا يجعلك جذّاباً بنوعٍ خاص. ليس المال سوى أحد الجوانب في حياتنا، ويجب ألاّ يكون حبّ المال محور حياتك، حتى لو كان قول هذا أيسر من فعله.

لا شك في أن الضائقة المالية أحد أكثر الأعذار التي يتذرّع بها الأشخاص غير السعداء، أو الذين لا يفعلون ما يريدون. سبق لي أن سمعت كثيراً مما يلي: "لو أنني أمتلك المزيد من المال، لاستطعت فعل كذا وكذا، ولكنت سعيداً فعلاً". وقد شهدتُ كيف حصل هؤلاء الأشخاص أخيراً على المال، ومع ذلك لم يفعلوا بالضرورة ما كانوا يريدون فعله، مما يعني أن ثمة عيباً ما في هذا الزعم. إذاً، لا يكمن مفتاح السعادة في امتلاك المزيد من المال. ولكن قلّة المال كذلك لا تصنع السعادة. إذاً لا بد من أن تتعلّم التعامل مع مالك على نحو تمتلك معه ما يكفي منه، وتكفّ عن إشغال تفكيرك فيه.

ثمة إمكانيتان للوصول إلى المزيد من المال: تخفيض الإنفاق وزيادة الدخل. إذا تبنّيتَ الأفكار الواردة في هذا الجزء من الكتاب، سرعان ما تجد نفسك على طريق الاستقلال المالي (الفكرة رقم 29). ولا يدور الموضوع هنا حول قدرتك على دفع فواتيرك مستقبلاً، بل حول امتلاكك من المال ما يجعلك غير مضطر إلى العمل لكسب رزقك، إنما أنت تعمل متى تشاء.

إن كنتَ تقبع على جبلٍ من الديون ولا تعرف كيف ستدفع الأقساط القادمة، فقد يبدو لك ما قلناه خيالياً. مع ذلك عليك أن تقرأ هذا الجزء بكل تمعّن، وأن تتبع الأفكار الواردة فيه. وإن لاح لك الاستقلال المالي بعيد المنال، فباستطاعتك أنت أيضاً، وبخطواتٍ صغيرة، بلوغ هذا الهدف.

الفصل الواحد والعشرون

موقفك الشخصي من موضوع "المال"

لقد تبيّن أن المال كان كالجنس تماماً. عندما لم تكن تمتلكه، لم تكن تفكّر في شيءٍ غيره. وعندما امتلكته، رحت تفكّر في كل الأمور الأخرى.

جيمس بالدوين

ليس المال دواءً لكل داء؛ فالسعادة والحبّ والصحّة لا يمكن شراؤها. والمال متوافر بكثرة، وإن تعذّر على الكثيرين تصوّر ذلك، كما إن المال ليس مقياساً لكفاءتك. هناك أكثر مما تتخيّل من العباقرة الفقراء ومن الأغبياء الأغنياء. ليس المال أكثر من وسيلة يمكن توظيفها لأغراضٍ خيّرة أو شرّيرة. ولا شك في أن موضوع "المال" يستثير لدى الكثيرين مشاعر وانفعالاتٍ قوية، ويميل المرء إلى قلّة التحدّث عن المال، كما إن الطريقة التي تتعامل بها مع مالك تشي بالكثير عنك. وكيفية إنفاقك المال وعلامَ تنفقه، لهو أمر يكشف ما تحتاجه وما تقدّره فعلاً.

كنْ على بيّنة بدايةً من كيفية تفكيرك في المال. فرأينا في موضوعٍ ما يحدّد تصرّفنا، وتصرّفنا يحدّد بدوره النتائج التي نحقّقها. فيما يلي بعض الأقوال المتعلّقة بموضوع "المال":

- *أعتقد أن المال هو...*
- *مشكلتي الكبرى مع المال في الوقت الحاضر هي...*
- *عندما يتعلّق الأمر بـ...، يمكنني التعامل مع المال جيداً.*
- *النجاح المالي هو...*

- *لو كان في مقدوري تغيير علاقتي بالمال، ففي النقطة التالية...*
- *لو أنني أمتلك من المال قدر ما أشاء، لـ...*
- *أريد أن أغيّر في طريقة تعاملي مع المال قبل كل شيء ما يلي:...*
- *كان والداي يقولان دوماً إن المال هو...*

إن كنتَ لا تؤمن سوى بالمال، فأنت تحدّ من إمكاناتك المالية في الوقت ذاته. إذا كنتَ تعتقد أنه لا بد للمرء من أن يشقى في سبيل المال، عليك أن تشقى كي تصبح غنياً. ميراندا، على سبيل المثال، ترى في المال شيئاً سلبياً. وعن غير وعيٍ منها لا تقرن بالمال سوى أمور مزعجة ومقيتة كالطمع والفساد والرشوة والرأسمالية والسياسيين اليمينيين. ولم يدهشني كثيراً أنه ليس لديها أيّ مدّخرات، وأنها، فوق ذلك، قد راكمت على نفسها ديوناً جسيمة. ولما كان المال بالنسبة لها شيئاً سلبياً، فهي لم تكن تشاء أن تفعل به أيّ شيء. وحينما عرفتْ ميراندا موقفها السلبي هذا، كانت على استعداد لتغييره. فصارت ترى في المال وسيلةً يمكن توظيفها لأغراضٍ صالحة أو طالحة. بالتالي تغيّر سلوكها في التعامل مع المال أيضاً. سدّدتْ ديونها شيئاً فشيئاً، وفتحتْ حساب توفير، وتمكّنتْ أخيراً من موازنة حسابها بصورة دائمة.

تتجلّى المواقف المألوفة من موضوع "المال" في أقوالٍ سائرة مثل "المال يجرّ المال"، "لا يمكن شراء كل شيء بالمال"، "المال وحده لا يجلب السعادة". دوّنْ أنت أيضاً ما يخطر في بالك عن موضوع "المال". واستبدلْ هذه المعتقدات بمقولاتٍ جديدة مثل "أنا أحب مالي"، "بالمال أستطيع تحقيق أحلامي"، "لديّ ما يكفي من المال لاقتسامه مع الآخرين". حينما تكفّ عن تقييد أفكارك في موضوع "المال" تكون قد قمتَ بالخطوة الأولى على طريق الاستقلال المالي.

ليس من السهل دوماً إثبات الرأي الشخصي في هذا الموضوع. ولكن الأمور لا تسير بشكل آخر. جِف، نائب رئيس شؤون العاملين في شركة كبرى، التحق بإحدى حلقاتي الدراسية في موضوع "المال والاستقلال المالي". وشأنه شأن الكثيرين من الناس كان جِف على قناعة بأنه مع المزيد من المال لن يتمكّن من تسديد ديونه وحسب، بل وحلّ مشكلاته أيضاً. وقد تبيّن أن جِف كان يعتقد بوجوب تلبية جميع رغبات زوجته المتطلّبة جداً، بغض النظر عن قدرته على ذلك. وقد حان الوقت الآن لإطلاع زوجته، بكل صدقٍ وصراحة، على أحواله المالية، وللتخطيط معها

للمستقبل. فتأكّد لهما أنهما كانا يعيشان فوق مستواهما بكثير، وينفقان نحو 2000 إلى 4000 يورو أكثر مما يكسب جِف شهرياً، أي ما يقرب من 50000 يورو سنوياً.

قام الزوجان باستشارة خبيرٍ مالي أظهر استعداده لقبول الاثنين في برنامج يُفترَض به تمهيد الطريق أمام الأزواج المدينين للتخلّص من العجز المالي. رمى الاثنان جميع بطاقات الائتمان، وتوقّفا عن تناول الطعام خارجاً، وعادا إلى غسيل ملابسهما في المنزل من جديد، وتنازلا عن الرحلات المكلفة، ولم يعودا يدفعان إلاّ نقداً. من المدهش أن هذه التقييدات لم يكن لها أيّ أثر عليهما إطلاقاً. وأخذا يجلسان معاً كل يوم ويناقشان نفقاتهما، مميّزين في ذلك بين ثلاث فئاتٍ من النفقات: 1. نفقات ضرورية، 2. نفقات فيها نظر، 3. نفقات لا لزوم لها. وتحوّلتْ المبذّرة إلى مقتصدة متحمّسة. فهي تجمع البونات، وتتسوّق في محلاّتٍ مختلفة لتوفير المال. فضلاً عن ذلك اكتشفتْ من جديد حبّها وحماستها للطهي، وصار الاثنان يتمتعان بوجباتهما البيتية، من غير أن يضنّا على نفسيهما أحياناً بشيءٍ من الترف. ولكنهما يدفعان نقداً، على العكس مما كانا يفعلان في السابق.

بعد مدةٍ قصيرة فوجئ الاثنان بأنهما قد وفّرا 2000 يورو. ومهّد المال طريقه إلى حياتهما. وراحا يقاومان كلاً من إغراء كتمان النعم المالية غير المتوقّعة عن مستشارهما المالي وإنفاقهما المال. وبدلاً من ذلك سدّدا جزءاً من ديون بطاقات ائتمانهما. وكلاهما متحمّسان إلى درجة لا أشكّ معها في أنهما سرعان ما سوف يتخطّيان ديونهما ويغدوان مستقلّين مالياً.